

عبد الرحمن رأفت الباشا.. أديب أريحا
الكاتب : رياض القيسي
التاريخ : ١١ إبريل ٢٠١١م
المشاهدات : 8125



ولد الأديب الراحل سنة ١٩٢٠م ببلدة أريحا السورية -بالقرب من حلب الشهباء-، ودرس في "إدلب"، وحصل على المرتبة الأولى في الابتدائية، ثم حصل على الثانوية العامة من كلية الشريعة الخسروية في حلب سنة ١٩٤١م وابتعث إلى الأزهر، حيث واصل دراسته في كلية أصول الدين وذلك في عام ١٩٤٣م، وفي نفس الوقت التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول وحصل على الشهادة العالية لأصول الدين في عام ١٩٤٥م كما حصل على إجازة للتدريس عام ١٩٤٧م. وفي عام ١٩٤٨م حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة فؤاد الأول ونال جائزة الجامعة لحصوله على المرتبة الأولى، ثم عاد إلى سورية وعمل مدرساً في عام ١٩٤٩م، ثم مفتشاً للغة العربية في حلب، ثم مفتشاً أول عام ١٩٥٥م بدمشق، ثم مديراً للمكتبة الظاهرية في عام ١٩٦٢م، وفي الوقت نفسه عمل محاضراً في جامعة دمشق حتى عام ١٩٦٤م حيث أعيد للعمل مدرساً في المعاهد العلمية بالسعودية.

وكان قد حصل على درجة الماجستير في عام ١٩٦٥م من كلية الآداب جامعة القاهرة، والدكتوراه في عام ١٩٦٧م، وعمل أستاذاً بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورئيساً لقسم البلاغة والنقد. وقد أشرف على العديد من الرسائل العلمية وشارك في عدة مؤتمرات ولجان علمية. وشارك في تأسيس رابطة الأدب الإسلامي، وانتخب نائباً للرئيس، ورئيساً لمكتب البلاد العربية للرابطة، وعضواً بمجلس الأمناء. ومات - رحمه الله - عام ١٩٨٦م عن عمر يناهز ٦٦ عاماً.

أدب الدعوة الإسلامية:

ومع أنه لم يكن هو أول من دعا إلى إيجاد أدب إسلامي يلتزم الإسلام ومنهجاً سلوكياً، فقد سبقه إلى ذلك كثير من المفكرين، وهو يعترف بذلك ويقر بالفضل لأهله.. لكنه استطاع أن يجعل أمني أولئك العلماء حقيقة واقعة، فقد سعى لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي ويكون له بمثابة الخلفية التاريخية، والقاعدة الصلبة التي ينهض عليها بناؤه؛ ليساعد الدارسين في معرفة هذا الأدب ودراسة خصائصه ورصد موضوعاته.. ومن هنا ظهرت فكرة

موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي قامت بإصدارها كلية اللغة العربية بالرياض، وأشرف عليها بنفسه حيث كانت

نتاج مادة البحث لطلبة السنة النهائية بكلية اللغة العربية، وصدر منها ستة أسفار هي:

. شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، إعداد عبد الله حامد الحامد. ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

. شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي، إعداد عبد العزيز محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم. ١٣٩٢هـ -

١٩٧٢م.

. شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، إعداد عبد الله عبد الرحمن الجعيثن. ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

. شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني، إعداد عائض الراددي. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

. شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، إعداد محمد بن علي الصامل، وعبد الله بن صالح العريني. ١٤٠١هـ -

١٩٨١م.

هذا في مجال الشعر، أما في مجال النثر، فقد صدرت القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين في

مجلدين اثنين كبيرين؛ أربى عدد صفحاتهما على الألف، إعداد أحمد بن حافظ الحكمي ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

وقد كان لصدور هذه الأسفار من الموسوعة أثر ملموس في تغيير بعض المسلمات الأدبية الخاطئة عن الشعر

الإسلامي، ولا سيما في عصر النبوة والخلفاء الراشدين.. فلقد كتبت الدكتوراة "عائشة عبد الرحمن" - بنت

الشاطئ- مقالاً نشر بالأهرام في عدد يوم الجمعة الموافق ١٩٧٥/٧/١١م بعنوان: الإسلام والشعر والمستوى الفني

لشعر الصحابة، وذلك بمناسبة الرسالة التي أعدها تحت إشرافها الأستاذ "محمد الراوندي" المحاضر بدار الحديث

الحسنية بالرباط، بعنوان: الصحابة الشعراء، حيث نقلت فيها فقرات من مقدمة الجزء الأول من موسوعة أدب

الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وقررت أن الجهود الجدية قلبت المُسَلِّمات الأدبية السابقة

قلباً؛ إذ كان الدارسون، وهي منهم، يقيمون أحكامهم على حصر شعراء الدعوة بما لا يزيد على أصابع اليدين عدداً.

كما عمل الدكتور الباشا على توسيع نطاق التعريف بهذا الأدب اليتيم. كما كان يُطَلِّق عليه في بعض المناسبات -

وذلك من خلال برنامج إذاعي سجلت حلقاته الأولى إذاعة الرياض في ١٣٩٥هـ/٤/٣، وقد أربى عدد حلقاته على [٢٤٠]

تحت اسم: مع أدب الدعوة الإسلامية.

وقد قام وحده برسم منهج إسلامي في الأدب والنقد، وعمل على إرساء قواعده، وتبنت جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية.. حتى قبض لمادة منهج الأدب

الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم الإسلامي.. وقد عبر عن

ذلك سماحة الشيخ "أبو الحسن الندوي" في التقديم الذي كتبه لكتاب "نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد" حيث

قال: "كان الدكتور عبد الرحمن ممن يتصف بالعمل والتطبيق، فلم يستجب لهذه الفكرة استجابة فكرية

فحسب، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وإشرافه على

البحوث الأدبية، ثم تطورت آماله إلى تأسيس رابطة تُعنى بهذا الموضوع، وعقد ندوات حول الموضوع، والتف حوله

أساتذة وكتاب كان بينهم انسجام فكري، وتحولت هذه الفكرة إلى منظمة عالمية".

رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

لقد مر إنشاء هذه المنظمة التي دعيت بـ (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بمراحل عديدة؛ كان أهمها ذلك

الاجتماع الذي انعقد في منزل الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في مدينة الرياض عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، والذي تم فيه

تكوين هيئة تأسيسية لهذه الرابطة برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.. ثم كانت الندوة العالمية للأدب

الإسلامي برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في "لكنو" في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨١م، حيث دعي

إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي المهتمين بالأدب، واختير الدكتور الباشا نائباً لرئيس الرابطة، ورئيساً لمكتب البلاد العربية.

كما شارك الدكتور الباشا في العديد من اللجان والندوات، وناقش وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

من مؤلفاته:

صور من حياة الصحابة:

وفيه يعرض صوراً من حياة مجموعة من نجوم الهداية التي نشأت في أحضان المدرسة المحمدية؛ بأسلوب جمع بين البلاغة الأدبية، والحقيقة التاريخية [فيجد طالب الأسلوب الإنشائي في هذا الكتاب بغيته، وناشد الفن القصصي طُلبته، والساعي إلى التأسي بالكرام ما يرضيه ويغنيه، والباحث عن الحقيقة التاريخية ما يفي بغرضه.

صور من حياة الصحابيات:

هذا الكتاب يجوب بنا في رحاب حياة المرأة المسلمة التي عاشت في كنف الرسول الكريم، من خلال صور متعددة تعبر عن المنهج الإسلام القويم الذي وضع الأسس لحقوق المرأة وواجباتها [فتحتَ ظلُّه بايعة على ما بايع عليه الرجال، ورسمت أسمى معاني البذل والعطاء في سبيل ذلك. ولم تقتصر خصائل المرأة المسلمة على أنها مؤمنة راسخة الإيمان، وزوجاً وأمّاً من الطراز الأول، ربت فأحكمت وأصيبت فاحتسبت [بل كانت فوق ذلك كله مجاهدة في سبيل الله فخاضت المعارك وضممت الجراح، وحملت الزاد وأصلحت السهام، وسكبت الماء في حلوق العطاس وهم يجودون بنفوسهم في سبيل الله [إنها حياة المرأة المسلمة بكل ما فيها من سمو وفخار.

صور من حياة التابعين:

يعرض الكتاب صوراً واقعية مشرقة من حياة مجموعة من أعلام التابعين الذين عاشوا قريباً من عصر النبوة، وتلمذوا على أيدي رجال المدرسة المحمدية الأولى [فإذا هم صورة لصحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم، في رسوخ الإيمان، والتعالي عن عرَض الدنيا، والتفاني في مرضاة الله [وكانوا حلقة مُحكمة مؤثرة بين جيل الصحابة -رضوان الله عليهم- وجيل أئمة المذاهب ومن جاء بعدهم. وقد قسمهم علماء الحديث إلى طبقات، أولهم مَنْ لَحِقَ العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم مَنْ لَقِيَ صغار الصُّحابة أو مَنْ تأخرت وفاتهم.

نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد:

هذا الكتاب سلاح لمقاومة ما نتعرض له من غزو فكري ووجداني وحضاري [ودرع واقٍ يقف في وجه التيار الجارف للمذاهب الأدبية المنبثقة عن نظرة أصحابها إلى الإنسان وما حوله [لقد عرض المؤلف - رحمه الله - أهم المذاهب الأدبية وموقف الإسلام منها، وموقف الإسلام من الأدب بعامة ومن الشعر بخاصة، والخصائص العامة لهذا المذهب الأدبي الذي نسعى له. بتحليله العلمي الدقيق، ومعلوماته الموسوعية الشاملة النابعة من الكتاب والسنة، وبأسلوبه الأدبي المميز. وقد خلص المؤلف - رحمه الله - إلى رسم منهج لمذهب إسلامي في الأدب والنقد يُيسر لنا وضع المعايير والمقاييس؛ لمعرفة الغث من الطيب.

أرض البطولات:

رواية تاريخية تعرض قصة من قصص كفاح أمتنا كتبها شعبنا المؤمن بشفرات السيوف، وحَبَّرها بزكي الدماء ضد المستعمر الفرنسي [ليس فيها من خيال القاص إلا ما يربط بين الوقائع، ولا من خلق الكاتب إلا ما تستدعيه طبيعة العمل القصصي لتصوير الأحداث [فزمنها هو ربع القرن الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، ومكانها هو تلك الربوع

الشامية، وأشخاصها مواطنون معروفون. وقد كُتِبَتْ هذه القصة بلغةٍ فصحي ليكون في ذلك بلاغٌ لأولئك الذين يشيرون بين الناس إلى هذا الفن لا يسلس إلا للعامية، ولا يُؤدَّى إلا بها.

العدوان على العربية عدوان على الإسلام:

نبه إلى أن لغتنا العربية ليست ملكًا لشعبٍ بعينه، وإنما هي تراث العرب والمسلمين جميعًا على اختلاف ديارهم وأقطارهم. وبَيَّنَ تَفَرُّدَ هذه اللُّغة وتَمَيُّزها عن غيرها من لغات الأرض، وقدرتها على الوفاء بمطالب الحياة، والنهوض بأعباء الحضارة. كما ألقى الأضواء على الحرب التي شنها الأعداء على لغة القرآن؛ تارة في السِّرِّ وأخرى في العلنِ، وناقش الحُجَجَ التي أطلقها الخصوم تحت ستار التجديد والإصلاح، وكشف المقاصد التي تُكْمِن وراء هذه الحرب. كما وضَّح المؤلف - رحمه الله - حق أبنائنا علينا في توضيح السبل إلى حماية لغتهم، وصيانة فصاحتها من إلى تمتدُّ إليها يدُ بالتحريف والتبديل، وان نجاهد من أجلهم كما جاهد آباؤنا من أجلنا. لان العدوان على هذه اللُّغة إنما هو عدوان على الإسلام.

وفاته:

توفي - رحمه الله - في يوم الجمعة ١٨/٧/١٩٨٦م الموافق ١١ من ذي القعدة ١٤٠٦هـ، وسُجِّيَ جثمانه بمقبرة الفاتح هناك؛ حيث يرقد كثير من الصَّحابة والتَّابعين الذين أحبهم في حياته وجاورهم في مدفنه.

المصدر: منتديات الدرر الشامية

المصادر: